

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

تمهيد

تعتبر نشأة العلاقات الدولية قديمة قدم وجود الإنسان، ثم أخذت تتطور مع مختلف العصور التاريخية التي مر بهات الإنسان الى أن أصبحت على ما هي عليه اليوم حقلا معرفيا قائما بذاته، مبني على مختلف الدراسات والنظريات العلمية، ومجالا واسعا للبحث والدراسة، فالتحول الكبير الذي عرفه قانون العلاقات الدولية، أدى الى تطور قوانين حماية مصالح المجتمع الدولي ورعاية حقوق أفراد في ظل التغيرات العالمية الحديثة، حيث تطلبت كل هذه التحولات السابقة الذكر إقامة علاقات دبلوماسية تقوم بعدة مهام وأدوار هامة وفاعلة في نطاق العلاقات الدولية، إذ تعد آلية لقيام هذه العلاقات وتنظيمها، كما تسهر على القيام بمختلف الشؤون التي ترتبط بين الدول إذ تعمل بشكل أساسي على التوفيق بين مصالح الدول المتعارضة وتقريب وجهات النظر.

سننظر من خلال هذا المقياس عدة محاور أساسية في دراسة قانون العلاقات الدولية والعلاقات الدبلوماسية وهي كالآتي:

المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية

سنتناول في هذا المحور المفهوم اللغوي والاصطلاحي للدبلوماسية، كما سنتناول بالدراسة التطور التاريخي للعلاقات الدبلوماسية، بالإضافة الى مصادر الدبلوماسية.

المحور الثاني: الدبلوماسية: الأشكال والوظائف والحصانات.

سنتناول بالدراسة في هذا المحور أشكال الدبلوماسية، بالإضافة الى الوظائف الدبلوماسية،

المحور الثالث: الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، واجبات البعثة الدبلوماسية وانتهاء المهام.

سننظر في هذا المحور الى الحصانات والامتيازات التي تتمتع بها البعثات الدبلوماسية من جهة والمبعوثين الدبلوماسيون من جهة أخرى، بالإضافة الى الواجب التي يجب عليهم الالتزام بها في الدول المستقبلية، كما سنتناول في هذا المحور حالات انتهاء الدبلوماسية.

المحور الرابع: تطبيقات العلاقات الدولية على المجالات الدولية.

سننظر في هذا المحور الى تطبيقات العلاقات الدولية على جميع المجالات الدولية (المجال البري، المجال الجوي، والمجال البحري).

أولاً: مفهوم الدبلوماسية.

تعد الدبلوماسية ظاهرة أو عامل مهم من العوامل التي تحتل أهمية كبيرة في تطور العلاقات الدولية، لأنها تمثل حلقة ربط أساسية بين الدول من جهة ومن جهة أخرى تلعب دورا هاما في حماية ورعاية مصالح الدول، كما يتم عن طريقها إقامة العلاقات بين الدول وتدعيمها وارساء مختلف القواعد التي ترمي الى معالجة كافة الشؤون التي تهم مختلف الدول بصفة دائمة ومستمرة، هذا ما يجعل الدبلوماسية تكتسي طابعا ديناميكيا بين الدول يقوم على عدة أسس منها الاحترام الكامل للسيادة الوطنية، حرية التعبير واستقلال الشعوب، ولقد ارتبطت ظاهرة الدبلوماسية وتطورها مع تطور العلاقات الدولية وسنتناول فيما يلي مفهوم وتطور العلاقات الدبلوماسية.

1- الدبلوماسية: المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

أ- تعريف الدبلوماسية لغويا:

المعنى اللغوي للدبلوماسية يقودنا الى الحديث عن أصل كلمة دبلوماسية والتي يعود الى اللغة اليونانية، فكلمة دبلوماسية ليست كلمة عربية فهو مصطلح دخيل على اللغة العربية رغم مختلف الاستعمالات لهذا المصطلح في اللغة العربية وكتابته بحروف عربية، فهي كلمة مشتقة من كلمة "دبلون" "diploun ومعناها يطوي أو دبلوما diploma ومعناها الوثيقة أو المأخوذة من الفعل diplome والتي تعني الوثيقة الرسمية التي تصدر عن أصحاب السلطة والرؤساء السياسيين.

وعليه فإن الدبلوماسية هي كلمة يونانية معناها طبق أو طوى، وذلك راجع لأنه عندما كانت تختتم جميع جوازات السفر ورخص المرور على طرق الإمبراطورية الرومانية، وقوائم المسافرين والبضائع على صفائح معدنية ذات وجهين مطبقين ومخيطين سويا بطريقة خاصة، وكانت تذاكر المرور هذه تسمى (دبلمات)، واتسعت كلمة دبلوماسية حتى شملت وثائق رسمية غير معدنية التي تمنح المزايا أو تحتوي على اتفاقات مع جماعات أو قبائل أجنبية.

حيث كانت بالنسبة لحاملها بمثابة امتياز حسب المفكر "شيشرون" Cicero حيث استخدم كلمة دبلوما بمعنى التوصية الرسمية التي تعطي للأفراد الذين يأتون الى البلاد الرومانية وكانوا يحملونها معهم ليسمح لهم بالمرور وليكونوا موضع رعاية خاصة. فهي كانت تمنح لحاملها امتيازات وحصانات من أجل تسهيل المهمة المسندة اليه، كما تعني أيضا عند بعض المفكرين أنها كلمة يقصد بها خطاب التقديم.

ثم انتقلت بعده كلمة دبلوماسية اليونانية الى اللاتينية والى اللغات الأوروبية ثم الى اللغة العربية.

- الدبلوماسية في اللاتينية: تعني الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث والمهمة الموفد بها، والتوصيات الصادرة بشأنه من الحاكم يقصد تقديمه وحسن استقباله أو تسيير انتقاله بين الأقاليم المختلفة، وكانت هذه الشهادات أو الوثائق عبارة عن أوراق تمسكها قطع من الحديد تسمى دبلوما.

- أما المعنى الثاني والذي استعمله الرومان لكلمة دبلوماسية، والذي كان يفيد عن طباع المبعوث أو السفير وسلوكه وقصدت باللاتينية (الرجل المناق ذي الوجهين).

كما دلت كلمة الدبلوماسية فيما بعد وحتى نهاية القرن السابع عشر (17) الى الأوراق والوثائق الرسمية وكيفية حفظها وتبويبها، وترجمة كلماتها وحل رموزها من كتاب متخصصين، أو ما يسمى أمناء المحفوظات، وأطلق على من يقوم بهذه المهمة اسم الدبلوماسي ويسمى هذا المجال بالعمل الدبلوماسي.

- الدبلوماسية بالمفهوم الفرنسي: تعني المبعوث أو المفوض أو الشخص الذي يرسل في مهمة.

- أما في الانجليزي فقد استعملت كلمة "Diplomacy" باللغة الانجليزية للإشارة الى ممثلي الدول الأجنبية الذين يحملون كتب اعتماد من دولهم.

ولقد بدأ استخدام لفظ الدبلوماسية أو الدبلوماسي للإشارة الى المعنى المتعارف عليه اليوم، وهو ادارة العلاقات الدولية الا في نهاية القرن الثامن عشر (18) وتحديدا عام 1796، حيث بدأت كلمة دبلوماسية تتبلور وتكتسب أسسها وقواعدها الخاصة، ولما دونت قواعد القانون الدولي في نصوص قانونية كان من ضمن ما تم تدوينه قواعد العلاقات الدبلوماسية، وكانت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لسنة 1961 أول اتفاقية رسمية تأخذ بمصطلح الدبلوماسية بصفته مصطلحا قانونيا.

عام

قانون

الثالثة

السنة

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

ويرتبط تطور كلمة دبلوماسية على مر الزمن بتطور الممارسة الدبلوماسية وأصبحت هذه الكلمة تستخدم في جميع اللغات بمعنى واحد للتعبير عن مفهوم علمي له قواعده وأصوله يحمل عدة معاني ودلالات منها: معنى المهنة، معنى المفاوضات، معنى الدهاء والكياسة.

ب- الدبلوماسية اصطلاحاً:

تعددت تعاريف الدبلوماسية وتم استخدام الكلمة للإشارة إلى عدة معاني وسنتطرق فيما يلي إلى جملة من هذه التعاريف:

عرفت الدبلوماسية بأنها تطبيق الذكاء واللباقة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة، والتي تمتد أحياناً إلى علاقاتها مع الدول التابعة، أو باختصار هي إدارة الأعمال بين الدول بالوسائل السلمية.

وعرفت أيضاً بأن الدبلوماسية هي إدارة العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات بالأسلوب الذي يستخدمه السفراء والمبعوثون لإدارة وتسوية هذه العلاقات، وهي وظيفة الدبلوماسي أو فنه.

كما تعرف كذلك من زاوية أخرى بأنها علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول، كما تنشأ عن مصالحها المتبادلة وعن مبادئ القانون الدولي ونصوص المعاهدات والاتفاقيات التي تنشأ. وهي ضرورية لقيادة الشؤون العامة ومتابعة المفاوضات.

من جهة أخرى تم تعريفها بأنها عملية سياسية تستخدمها الدولة في تنفيذ سياساتها الخارجية وذلك في تعاملها مع الدول والأشخاص الدوليين الآخرين وإدارة علاقاتها الرسمية مع بعضها البعض ضمن النظام الدولي.

إذا من خلال التعاريف السابقة يمكننا القول بأن الدبلوماسية هي عملية أو عمل سياسي يجمع بين العلم والفن في إدارة العلاقات الدولية عن طريق الهيئات الدبلوماسية وممثليها، وذلك في إطار ما يسمح به قانون العلاقات الدولية.

2- بعض المصطلحات ذات الصلة بمصطلح الدبلوماسية:

هناك مجموعة من المصطلحات والمفاهيم المشابهة لمصطلح الدبلوماسية، وتصب في نفس المجال، لذا وجب تحديد هذه المفاهيم ولعل أهمها ما يأتي:

أ- العلاقات الدولية:

يعتبر مفهوم العلاقات الدولية واسع وغير محدد، تم تعريفه من عدة جهات نظر الباحثين والمختصين في المجال، إلا أن كل هذه التعريفات ركزت على موضوع التفاعل بين الدول، حيث تعرف العلاقات الدولية على بأنها كل أنواع الروابط والمبادلات التي تتم خارج حدود الدولة الواحدة، فيما يقصد البعض بالعلاقات الدولية ما لا يكون بين الدول من روابط تقوم على أساس من قواعد عامة، وضوابط تحكم تعاملها فيما بينها باعتبارها مستقلة ذات سيادة.

ويعرفها سامي عبد الحميد على أنها كل علاقة ذات طبيعة سياسية أو من شأنها أحداث انعكاسات وأثار سياسية تمتد إلى ما وراء الحدود الإقليمية لدولة واحدة. وفي تعريف آخر " لمارسيل ميرل Marcel Merle " العلاقات الدولية هي كل التدفقات التي يمكن وصفها بالعلاقات الدولية وتشمل هذه التدفقات على العلاقات بين حكومات الدول وأيضاً العلاقات بين الأفراد والمجموعات العامة أو الخاصة التي تقع على جانبي الحدود.

عام

قانون

الثالثة

السنة

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

اذن العلاقات الدولية هي مجموعة الاتصالات والتبادلات التي تتم بين أشخاص القانون الدولي في شتى المجالات (الثقافية، التجارية، الاقتصادية، السياسية....الخ)، حيث يشمل علم العلاقات الدولية مجموعة من المواضيع التي تتمثل أساسا في السياسة الدولية، التنظيمات الدولية، القانون الدولي. فالعلاقات الدولية هي نتيجة للسياسات الخارجية التي تسلكها الوحدات الدولية تجاه بعضها البعض، وعن طريق الدبلوماسية تتم اقامة العلاقات الدولية وتدعيمها، وتعالج كافة الشؤون التي تهم مختلف الدول ويتم التوفيق بين المصالح المتعارضة وتسيير حل للخلافات وتسويتها.

ب- القانون الدبلوماسي :

يعتبر القانون الدبلوماسي جزءا من القانون الدولي، وهو مجموعة المبادئ القانونية الموجهة لتنظيم العلاقات الخارجية التي تقوم بين مختلف أشخاص القانون الدولي المكلفين بشكل دائم أو مؤقت للعلاقات الدولية، ويعرف القانون الدبلوماسي بأنه فرع من فروع القانون الدولي العام الذي يضم القواعد القانونية التي تهتم بتنظيم العلاقات السلمية بين أشخاص القانون الدولي، ويتناول بصفة خاصة تنسيق العلاقات الخارجية للدول.

وعليه يمكن القول أن القانون الدبلوماسي هو الفرع الذي يهتم بصورة خاصة بتقنين قواعد التمثيل الدبلوماسي وادارة الشؤون الدولية وطرق قيادة المفاوضات، كما يشمل أيضا دراسة اجراءات ووسائل انشاء العلاقات الدولية بين الدول متضمنا بصورة أساسية وضع الممثلين الدبلوماسيين وحقوقهم وواجباتهم والحصانات والامتيازات الدبلوماسية.

ج- التمثيل الدبلوماسي:

يعد وجود التمثيل الدبلوماسي مظهرا من مظاهر وجود العلاقات الدولية، فقد دفعت الحاجة الى الاتصال بين الشعوب والدول الى ممارسة التمثيل الدبلوماسي، ويرتبط مفهوم التمثيل الدبلوماسي بمفاهيم السيادة والمساواة والسلم والأمن الدوليين. وقد أقر القانون الدولي هذه الممارسة كحق يتحصل أساسا في قدرة الدولة ذات السيادة المستقلة على ارسال واستقبال البعثات الدبلوماسية ومبعوثيها.

د- السياسة الخارجية:

ترتبط الدبلوماسية بالسياسة الخارجية ارتباطا وثيقا، فهي ليست فقط أداة لتنفيذ السياسة الخارجية، بل تساهم أيضا في تحضير واعداد السياسة الخارجية وتحقيق أهدافها.

فقد تستخدم أحيانا الدبلوماسية للدلالة على السياسة الخارجية لدولة ما دون تمييز بينهما من منطلق أن الدبلوماسية تقوم بصياغة السياسة الخارجية وتنفيذها بالإشراف مع وزارة الخارجية، فالسياسة الخارجية عادة تعرف بأنها نشاط الدولة في علاقاتها مع غيرها من الدول، أو هي المنهج الذي تتبعه الدولة في علاقاتها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية مع أعضاء الجماعة الدولية. ورسم السياسة الخارجية لدولة ما هو تعبير عن مصالح الدولة القومية بالدرجة الأولى، وتحقيق لأهداف معينة أو محددة بالاعتماد على المقومات الداخلية والظروف التاريخية والأوضاع الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية والعسكرية.

وعليه فان السياسة الخارجية أذن هي جزء أساسي من السياسة العامة للدولة، وتعد امتداد للسياسة الداخلية فيها، أما الدبلوماسية فهي تشكل الوسيلة الأساسية في تنفيذ السياسة الخارجية وتحقيق أهدافها في وقت السلم والحرب.

ثانيا: التطور التاريخي للعلاقات الدبلوماسية:

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

مرت الدبلوماسية بعدة مراحل تاريخية ساهمت في تطويرها وتقنينها حيث عرفت الدبلوماسية تطورا ملحوظا من فترة ومنية الى أخرى الى أن وصلت الى ما هي عليه اليوم حيث تتميز بكونها أكثر تنظيما من حيث العمل والممارسة كما أنها تخضع لقانون ينظم كيفية قيامها ولعل أهم المراحل التاريخية التي مرت بها العلاقات الدبلوماسية ما يلي:

1- الدبلوماسية في العصور القديمة:

تعتبر الدبلوماسية من ناحية الظهور التاريخي قديمة قدم الانسان والحضارات، وهي من أقدم الوظائف التي عرفها الانسان حيث كان الهدف الأساسي منها هو حاجة الانسان لأخيه الانسان من أجل تنظيم المصالح المتبادلة وتحقيقها، خاصة في ظل الظروف التي عرفتها العصور القديمة التي كانت تتميز بالصراعات والتناحر.

فقد أدركت الشعوب البدائية بالفطرة جدوى تحقيق المصلحة المشتركة باللجوء الى الطرق السلمية عن طريق المفاوضات وعقد الاتفاقيات، وأدى ذلك الى ظهور بعض القواعد تمثلت في أن ارسال البعثات في هذه المرحلة اقتصر على القيام بالتباحث حول أمور المصاهرة والزواج بين القبائل هذا بالنسبة الى القبائل البعيدة، أما القبائل القريبة فكانت الدعوة الى عقد اجتماعات عامة بهدف التباحث حول عدة شؤون منها الصيد، ممارسة الشعائر الدينية، الأعياد وغيرها من الشؤون اليومية التي تخص القبائل. وإذا أخذنا على سبيل المثال وليس الحصر أهم الحضارات في العصور القديمة نجد:

أ- الدبلوماسية في الصين:

عرفت الدبلوماسية تطورا واكب تطور العلاقات بين الجماعات والبيئة المحيطة بها والتي لم تكن مقتصرة على العلاقات الحربية والنزاعات فحسب، بل امتدت للعلاقات السلمية التي كانت تتم عبر مبعوثين خاصين يقومون بمهمة الاتصال والتمثيل والتفاوض ويتوصلون لعقد الاتفاقيات والتحالفات. ومن أهم حجج الفلاسفة الصينيين في مرحلة الدبلوماسية القديمة أنهم كانوا يرون بأن أفضل طريقة لدولة ما لممارسة نفوذها في الخارج هي تطوير مجتمع أخلاقي جدير بالتقليد، حيث تميزت الصين دائما في علاقاتها الخارجية مع العالم الخارجي بالدفاع عن حدودها ضد الهجمات أو التدخلات الأجنبية، واستقبال مبعوثين من الجيران بدلا عن المغامرة في الخارج بنظامهم السياسي وممتلكاتهم الامبراطورية.

ب- الهند:

بالنسبة للهند القديمة فقد كانت موطننا لتقليد دبلوماسي متطور ولكنه مختلف تماما، حيث نظام الدولة الواقعي الدكتاتوري يشير الى أن العلاقات الخارجية يتم تحديدها من خلال المصلحة الذاتية بدلا من الاعتبارات الأخلاقية، وتميزت الدبلوماسية في الهند ب: التجسس والمناورة الدبلوماسية، فقد كان للهند القليل جدا من الارتباط السياسي بشؤون المناطق الأخرى من العالم حتى غزا الاسكندر الأكبر مناطقها الشمالية عام 326م، حيث أدى التأسيس اللاحق للإمبراطورية موريان الأصلية الى حقبة جديدة في التاريخ الدبلوماسي الهندي تميزت بجهود لتوسيع المذاهب الدينية الهندية.

ج- الدبلوماسية في الحضارة الاغريقية:

تعد الحضارة الاغريقية عند الكثير من الكتاب أنها بداية عهد الدبلوماسية المنظمة، فقد أتاح وضع المدن اليونانية المجال لظهور التمثيل والممارسة الدبلوماسية، إذ كان نظام المدينة يقوم على أساس وجود العديد من الدول المتجاورة التي ترتبط بروابط مشتركة فيما بينها، حيث كان الاتصال يجري بين هذه الدول من خلال رسول يتم تعيينه خصيصا لهذه المهمة، وأحيانا أخرى من خلال منادي الملك الذي شكل

عام

قانون

الثالثة

السنة

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

الصورة الأولى للتمثيل الدبلوماسي والذي أطلق عليه الدبلوماسي المنادي، أو عن طريق الخطباء، وكان يتم اختيار المبعوثين من بين الخطباء والفلاسفة والحكماء.

كما عرفت المدن اليونانية أيضا التحكيم في حل وفض منازعاتها، وكذلك المصالحة والتسوية بالتراضي، بالإضافة الى الاتفاق الذي كان يعني الهدنة المحلية المؤقتة. من جهة أخرى عرفت اليونان نظام القناصل، وكان القنصل ينتمي الى موطني المدينة التي يقيم فيها ويقوم برعاية مصالح مواطني المدينة التي عينته.

د- الدبلوماسية في الحضارة الرومانية:

لطالما عرفت الحضارة الرومانية بالنزعة العسكرية حيث تميزت العلاقات الرومانية مع غيرهم باستعمال القوة والحروب بدلا عن استخدام الوسائل الدبلوماسية(الحوار، النقاش، والتفاوض...الخ). وعلى الرغم من الممارسة الدبلوماسية في زمن الامبراطورية الرومانية إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الممارسات التي ساهمت في تطوير العمل الدبلوماسي على غرار انتشار وظيفة أمناء المحفوظات المدربين الذين انصب عملهم على دراسة الوثائق والاتفاقيات الدولية.

كما تم أيضا انشاء ديوان خاص لإدارة الشؤون الخارجية وفض النزاعات المتعلقة بحصانات المبعوث الدبلوماسي، وفي هذا الاطار تولى مجلس الشيوخ مهمة استقبال السفراء الأجانب والاتصال بهم مباشرة فيما يتعلق بمهامهم في الدولة ومناقشة المشاكل والمسائل المشتركة بين البلدين، وقد تمتع الأجانب المبعوثين العاملين في روما بحصانات وامتيازات لم يتمتع بها غيرهم من الأجانب مراعاة لصفتهم التمثيلية.

ه- الدبلوماسية في عهد الدولة البيزنطية:

تميزت الدولة البيزنطية بالضعف من الجانب العسكري، لذلك فضلت الاعتماد على الدبلوماسية لمواجهة الأخطار والتهديدات من قبل الشعوب المحيطة بهم (العرب والفرس)، حيث لجأ البيزنطيون الى استخدام المفاوضات في علاقاتهم الخارجية، وأيضا انتهاز المكر والخديعة والحلبة لإضعاف أعدائهم عن طريق إثارة بعضهم ضد بعض، وخلق أسباب التنافس والتناحر وهذا يتطلب قدرة عالية من الفطنة وتقديم الحجج والبراهين وهذه المهمة اقتضت وجود جهاز دبلوماسي متمرس في جميع المعلومات، وتقضي أخبار الأعداء، هذا الأمر أدى الى خروج الدبلوماسية من مهامها المتعارف عليها الى نشاط تجسس بعيد كل البعد عن مميزات الدبلوماسية، هذا الأمر جعل الدول الأجانب ينظرون الى الدبلوماسي على أنه جاسوس يعمل لصالح دولته، بعدما كان الدبلوماسي ذو قيمة ومكانة خاصة. وتميزت الممارسة الدبلوماسية في بيزنطا بما يلي:

- اعتمدوا على فن المفاوضات وممارسة الدبلوماسية بأشكال وصيغ مختلفة.
- الاعتماد على أسلوب الدبلوماسي المراقب بدل من الدبلوماسي الخطيب، وهذا يستند الى شخصية الدبلوماسي المحترف ذي الخبرة والدراية.
- كانا أول من عملوا على مبدأ المساواة في السيادة، وارساء قواعد حسن الجوار حيث أصبحت الدبلوماسية بالنسبة لهم وسيلة لتحقيق التضامن بين الأسر الأوروبية.

و- الدبلوماسية في بلاد مصر والشام وبلاد الرافدين:

يرى معظم المؤرخين أنه ومنذ الالف الثالثة قبل الميلاد وأقيم نظام العلاقات الدبلوماسية بين دول الشرق الأدنى القديم (مصر، الشام، وبلاد الرافدين)، ولوحظ أن مثل هذه العلاقات قامت على مبدأ التوازن

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

السياسي وقد بينت الأثار التي وجدت في وادي الرافدين وجود علاقات دولية سلمية بين دول المنطقة، كما تم اكتشاف نقوش مسمارية تفيد قيام علاقات سلمية بين دويلات المدن، خاصة ما تعلق منها بترسيم الحدود بين تلك الدول.

اكتشفوا كذلك من خلال هذه تلك النقوش والاثار أن هذه الشعوب والدويلات كانت تلجأ في كثير من الأحيان الى الوساطة والتحكيم لحل منازعاتها وبرزت المفاوضات الى جانب الحرب في هذه المرحلة، وكان الهدف منها:

- اقامة اتفاقات وتحالفات في مجالات معينة.

- ابرام معاهدات الصلح والسلام وتبادل الأسرى أثناء الحروب وبعدها.

- الاتفاق على المحافظة على القوافل التجارية وطرق مرورها.

ز- الدبلوماسية عند العرب في الجاهلية:

كانت للعرب قبل الاسلام علاقات وطيدة مع جيرانهم، وأنشأوا البعثات الدبلوماسية بينهم وبين غيرهم من الشعوب حيث كانت اللغة تلعب دورا هاما في توثيق صلات العرب فيما بينهم. وقد كان للعرب علاقات مع جيرانهم من الروم والفرس والمصريين والأفارقة، كما كام لهم علاقات مع بلدان بعيدة عنهم كالهند والصين، حيث كانت الوفود الدبلوماسية هي المحرك الفاعل في التواصل ما بين العرب وغيرهم. وقد عرفت العرب أيضا في الجاهلية كلمة سفارة، حيث استعملت في تمثيل القبيلة لدى القبائل الأخرى للتفاوض والوصول الى اتفاق لحل المشاكل المتعلقة والمنازعات وعقد الصلح بعد الحرب. بالإضافة الى أن موقع العرب الجغرافي على الطرق الرئيسية للقوافل وتعاطيهم للتجارة فرض ضرورة عقد المعاهدات التجارية مع الأقاليم الأخرى العربية وغير العربية خاصة رحلة الشتاء والصيف.

ح- الدبلوماسية في العهد الاسلامي:

بدأت الدبلوماسية تتطور أكثر مع ظهور الاسلام، حيث يعتبر الاسلام من أهم الديانات التي كرست مبادئ السلام والتعاون والتعاهد ونبذ العنف والحرب، وقد خلف قيام الدولة الاسلامية اهتمامات جديدة سياسية واجتماعية ودينية، حيث أخذت السفارات مظهرا جديدا بهدف نشر رسالة الاسلام حيث ومنذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، نظم المسلمون علاقاتهم مع غيرهم من الأمم والشعوب والقبائل سواء في حال السلم او الحرب تنظيما رائدا مع مراعاة مع كان مألوفا من قيم العلاقات الدولية والتي تتماشى مع مبادئ الدين الإسلامي الجديد آنذاك.

ومن مظاهر العمل الدبلوماسي في الإسلام:

- قيام السفارات: حيث بعد مظهر السفارات مظهرا جديدا بهدف نشر رسالة الإسلام، حيث نظم المسلمون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم علاقات مع غيرهم من الأمم والشعوب والقبائل سواء في حال السلم أو الحرب.

-إيفاد المبعوثين: من الصحابة الى الملوك والأمراء في كافة أنحاء العالم حيث لم تقتصر أهداف الدبلوماسية و المبعوثين في هذا العهد بنشر الدعوة إلى الإسلام فقط بل تعددت لتشمل التفاوض لإبرام المعاهدات وفض النزاعات بالطرق السلمية وتبادل الأسرى وتقصي المعلومات عن الدول الأخرى ودعم العلاقات الاقتصادية والتجارية والعسكرية.

ومن أهم الدول الاسلامية التي ساهمت في تطور الدبلوماسية ما يلي:

- الدبلوماسية في عهد الدولة الأموية (662- 750):

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

بقيت الدولة الأموية تسلك نفس مسار الدولة الإسلامية، إلا أنه في الحقبة الأموية لاحظنا تطورات على مستوى الدبلوماسية أهمها تطوير أساليب العمل الدبلوماسي وطابعها وتنظيمها، بالإضافة إلى تشعب ميادينها بفعل امتداد حدود الدولة الإسلامية وانفتاحها على الحضارات الأخرى، حيث عملت على إحلال السلم محل الحرب مع خصومها.

- الدبلوماسية في العهد العباسي (750-841):

بعد العصر العباسي بمثابة العصر الذهبي للدبلوماسية الإسلامية، وكان هذا الازدهار الدبلوماسي انعكاساً لازدهار الدولة الإسلامية وتوطيد أركانها، وتزايد أعباءها وتداخل وتوسع دائرة المصالح نتيجة لتوسع نطاق الجغرافي للدولة الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى ضرورة زيادة عدد الرسل لتغطية نشاطها السياسي والدبلوماسي، ونظراً لأهمية هذا الدور عملت الدولة الإسلامية على اختيار السفراء من بين كبار موظفي الدولة كالوزراء والتجار وحتى الأمراء.

وجاءت أهمية الدبلوماسية والعلاقات الدولية في الإسلام من أهمية الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية لبناء علاقات مع المسلمين وغيرهم من المسلمين والشعوب الأخرى، لذلك عملت الدولة الإسلامية على تطوير العمل الدبلوماسي من خلال المكانة الخاصة التي ميزت بها المبعوث الدبلوماسي عند المسلمين انطلاقاً من مبدأ الإسلام في نشر الدين الإسلامي عن طريق أسلوب المفاوضة والحوار والافتتاح.

وأهم المبادئ التي يقوم عليها العمل الدبلوماسي في الإسلام هي:

- مبدأ المساواة.

- مبدأ السيادة.

- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير.

- تسوية المنازعات بالطرق السلمية كالتحكيم والوساطة والصلح.

2- الدبلوماسية في العصور الحديثة:

الدبلوماسية الحديثة أو الدبلوماسية الدائمة، لأن هذه المرحلة تميزت بالاستقرار، والثبات، حيث أصبحت الدبلوماسية الدائمة مهنة نتيجة لاستمرار تبادل العلاقات بين الدول وكذلك التمثيل الدبلوماسي بينهم، هذا الأمر جعل من الدبلوماسية تقوم على مبادئ وأسس ثابتة. وأهم المراحل التاريخية التي مرت بها الدبلوماسية هي:

أ- الدبلوماسية قبل الحرب العالمية الأولى:

ارتبط تطور الدبلوماسية بمرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى مع تطورات التي حصلت في أوروبا وقيام النهضة الصناعية وما نتج عنها من تطورات اقتصادية وسياسية، وتغيير النظرة حول المصالح الاقتصادية والسياسية، وهذا الأمر ساهم بشكل كبير في تشكيل مرحلة جديدة من الدبلوماسية، بدأ العمل الدبلوماسي فيها يستقر كمهنة تقوم على قواعد وأسس ثابتة والدبلوماسية الحديثة نشأت منذ منتصف القرن 15م بين مدن وإمارات إيطاليا الشمالية، نتيجة ظهور البرجوازية التجارية وقيام النهضة العلمية والفكرية، حيث لعبت فينيسا أو جمهورية البندقية دوراً هاماً في إرساء قواعد الفن الدبلوماسي طيلة الفترة الممتدة من القرن 15 إلى غاية القرن 18م، وذلك نتيجة للقوة الحربية التي كانت تتمتع بها، حيث أخذت أيضاً دعائم السلام التي ظلت قروناً طويلة تسيطر على ربوع القارة الأوروبية.

- معاهدة وستفاليا ودورها في تكريس أسس الدبلوماسية:

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

نتيجة للتصادم الديني الذي وقع بين الكاثوليك بزعامه اسبانيا والبروتستانت بزعامه فرنسا، هذا النزاع الديني أدى الى ما يعرف بحرب الثلاثين عاما التي بدأت عام 1618 وانتهت عام 1648 خلفت هذه النزاعات والصراعات الطويلة حروبا دامية حالت دون تقريب وجهات النظر للحد من هذه الحروب، الى أن تم توقيع معاهدة وستفاليا عام 1648، في مونستر وستفاليا(ألمانيا)، حيث كانت هذه المعاهدة سببا في انتهاء حرب الثلاثين عاما وسميت بمعاهدة السلام حيث كان لها أثر ايجابي ودور هام في اقرار التوازن الدولي والأوربي خاصة في تلك المرحلة، كما نجحت في وقف الحرب الدامية التي دامت ثلاثين سنة وخلفت الكثير من الخسائر البشرية بالإضافة الى الفقر والمجاعة، وكانت معاهدة وستفاليا بداية لعهد جديد في العلاقات الدولية.

وتبنت معاهدة وستفاليا أهم أسس ومبادئ التمثيل الدبلوماسي:

الدولة المستقلة: وجود دولة مستقلة التي تعد أساس قيام العلاقات الدولية، وهي دول مستقلة ذات السيادة التي تستطيع اقامة علاقات دولية.

المساواة: أقرت معاهدة وستفاليا المساواة بين الدول المسيحية والدول البروتستانتية في الحقوق والواجبات.

السفارات الدائمة: احلال نظام السفارات الدائمة، محل نظام السفارات المؤقتة الذي كان متبعاً وقد يساعد هذا على قيام علاقات دولية دائمة.

وضع القواعد والاسس القانونية: حيث تم وضع الأسس والقواعد التي تسري عليها الدول منذ معاهدة وستفاليا وأصبحت هذه القواعد هي القاعدة التي تسري عليها الدول وتنتهجها في اقامة العلاقات الدولية، ومن أجل احداث توازن القوى، ولم تكن معاهد وستفاليا هي أول وآخر معاهدة بل تعاقبت عليها عدة أحداث دولية أدت الى عقد عدة معاهدات صلح أخرى منها:

- معاهدة أترخت عام 1713، التي انهت سلسلة مستعمرات قامت بها فرنسا.

- **مؤتمر فيينا عام 1815:** هي أول مؤتمر جاء بعد معاهدة وستفاليا يبحث في ايجاد السبل لعقد السلام الدائم بين الدول الأوربية لا سيما بعد حروب نابليون، حيث وضع مؤتمر فيينا حد للفوضى والألقاب والمراتب الدبلوماسية، حيث أصبح اجماع حول المصطلحات والتسميات الدبلوماسية كما اكتسبت الخدمة الدبلوماسية أبعادها الخاصة كمهنة مميزة عن غيرها من المهن والوظائف السياسية الأخرى.

- **مؤتمر اكس لاشابيل سنة 1818:** أهم ما تم تناوله في هذا المؤتمر هو تناول قضية عدم التوازن بين الدول الكبرى خاصة فرنسا.

ب- تطور الدبلوماسية بعد الحرب العالمية الأولى:

- **مؤتمر فرساي عام 1919م بباريس، كما يطلق عليه اسم مؤتمر السلام:**

اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى سنة 1914، بين ألمانيا والنمسا والامبراطورية العثمانية وبلغاريا والمجر من جهة وبين دول الحلفاء فرنسا وانجلترا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان من جهة أخرى، حيث انتهت هذه الحرب بفرض خمس معاهدات للصلح على الدول الخمسة المنهزمة، حيث شكل الحلفاء بعد نهاية مؤتمر فرساي لعام 1919م، مجالس عليا للحلفاء تدعها مؤتمرات للسفراء بصفة دورية لمتابعة تنفيذها لمعاهدات السلام، ومؤتمر فرساي هو المؤتمر الذي أنهى الحرب العالمية الأولى التي دمرت أنحاء كثيرة من العالم في أوروبا.

- **عصبة الأمم المتحدة:**

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

هي أول منظمة أمن دولية كان الهدف من انشائها الحفاظ على السلام العالمي، تميزت بطابعها السياسي العالمي أنشأت عام 1919م تعد نقطة تحول في تاريخ العلاقات الدولية لأنها فرضت على الدول التنازل عن بعض حقوق السيادة التقليدية، كما وضعت القيود على حق اللجوء الى الحرب لتسوية المنازعات على صعيد العالم من جديد، حيث ظهر على اثرها مبدأ الأمن الجماعي.

ورغم الجهود التي بذلتها عصبة الأمم المتحدة من أجل تحقيق السلم والأمن الدوليين الا أنها فشلت في ذلك وهذا راجع لعدم تطابق وتوافق مبادئها مع أهداف الدول الكبرى التي كانت لها نزعة استعمارية متنامية، حيث تفتت ظاهرة الاستعمارية استنادا الى مبدأ القوة والعلاقات الدولية، فهذه الدول لم تستطع التخلي عن مبادئها القوة في السيادة.

الا أن هذا لم يقف عائقا أمام عصبة الأمم المتحدة حيث عملت مرة أخرى على تقنين العديد من موضوعات القانون الدولي وتنظيم الدبلوماسية حيث شملت على وجه الخصوص مسألة ترتيب المبعوثين الدبلوماسيين ضمن قائمة المسائل التي يجب بحثها.

- اتفاقية هافانا الدولية (20 فيفري 1928م في مدينة هافانا بكوبا):

تعتبر هذه الاتفاقية من بين أهم الاتفاقيات التي تضمنت عدة مواد عالجت القواعد الأساسية للتمثيل والوضع القانوني للبعثات الدبلوماسية.

- كما تعد أول اتفاقية جماعية جمعت وقننت قواعد العلاقات الدبلوماسية والحصانات الدبلوماسية.

وأهم المبادئ التي نصت عليها اتفاقية هافانا ما يلي:

- الممثلون الدبلوماسيون يمثلون حكوماتهم والسلطات الدستورية في بلادهم، ولا يمثلون الأشخاص ورؤساء الدول كما كان سائدا من قبل.

- تبادل التمثيل لا يكون الا بين الدول التي تعترف بحكوماتهم بعضها ببعض.

- لا يمنح الممثلون الدبلوماسيون الا الحصانات اللازمة لهم للقيام بأعمالهم الرسمية. (أهم هذه الحصانات هي الحصانة الشخصية – حصانة المقر والممتلكات الخاصة بالبعثة وجميع أعضائها- حرية الاتصال- الحصانة القضائية- الاعفاء من الضرائب). سنتطرق اليها بالتفصيل لاحقا.

وأهم المحاور التي تناولتها هذه الاتفاقية والتي جاءت في خمس محاور موزعة على 25 مادة هي:

- المحور الأول: يتعلق برؤساء البعثات الدبلوماسية.

- المحور الثاني: يتعلق بأعضاء البعثات الدبلوماسية.

- المحور الثالث: يتعلق بواجبات المبعوثين الدبلوماسيين.

- المحور الرابع: يتعلق بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية.

- المحور الخامس: يتعلق بإنهاء التمثيل الدبلوماسي.

3- مصادر القانون الدبلوماسي:

يقودنا الحديث عن القانون الدبلوماسي الى الحديث عن القانون الدولي والذي يشير الى مجموعة القواعد والقوانين التي تحكم العلاقات بين الدول والقانون الدولي ينقسم الى قسمين رئيسيين، القانون الدولي العام والقانون الدولي الخاص، وبالتالي فالقانون الدبلوماسي هو فرع من فروع القانون الدولي العام ولعل أهم مصادر القانون الدبلوماسي ما يلي:

أ- تقنين العرف الدبلوماسي:

عام	قانون	الثالثة	السنة
-----	-------	---------	-------

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

ان اعتماد العرف كمصدر للدبلوماسية أو القانون الدبلوماسي قديم فهو أحد اشكال التعبير عن القانون الدولي وقد تطور عبر آلاف السنين من الممارسة والعقيدة، ويشير العرف الى مجموعة من القواعد القانونية غير المكتوبة التي تنشأ من استمرارية سلوك الأفراد حول موضوع معين مع ايمانهم في الزامها وضرورة احترامها، وللعرف ركنين الأول مادي يتمثل في الاعتياد على سلوك معين وهو ما يسمى بالعادة، أما الثاني فهو معنوي يتمثل في الشعور بالزام هذه العادة التي اضطر على اتباعها رغم أنه كان عرفي الا أنه تغير بعد توضيح اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1961.

ب- ميثاق الأمم المتحدة:

الميثاق هو ملزم قانونا لجميع الدول الموقعة عليه اي جميع الدول الاعضاء فيه، حيث تلتزم هذه الدول بالميثاق.

ج- لجنة القانون الدولي:

تعد من أهم مصادر القانون الدبلوماسي لهذا السبب أنشأت عصبة الأمم لجنة الخبراء الخاصة بها لتدوين التدريجي للقانون الدولي، وتألقت اللجنة من 17 عضوا جميعهم من العلماء القانونيين. وكانت مهمتهم تحديد القضايا الغامضة في القانون الدولي والتوصية بسبل معالجة هذه القضايا، وعندما تمت صياغة ميثاق الأمم المتحدة تضمن نصا مشابها لطلب المنح القانونية، حيث كلفت المادة 13 من الميثاق المنظمة ببدء الدراسات وتقديم توصيات لغرض تشجيع التطور التدريجي للقانون الدولي وتدوينه.

د- المعاهدات والاتفاقيات الدولية:

تعد المعاهدات مصدر مهم كذلك من مصادر القانون الدبلوماسي، ومن أهمها اتفاقية فيينا لتنظيم العلاقات الدبلوماسية 1961 والعلاقات القنصلية 1963م، حيث عقدت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1961م ثم عقدت بعدها اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية عام 1963، حيث تعد هذه الاتفاقيات كأداة قانونية أساسية تنظم العلاقات الدبلوماسية الدولية، وقد تم التصديق على كلتا الاتفاقيتين من قبل الغالبية العظمى من الدول وبالتالي تعتبر قابلة للتطبيق عالميا.

هـ- محاكم القانون الدولي العام:

حيث يتولى عدد من المحاكم الدولية مسؤولية تطبيق القانون الدولي العام ويمكن لعملها أن يؤثر في الدبلوماسية، وسنركز على محكمة العدل الدولية التي تفصل بين النزاعات وبين الدول والمحكمة الجنائية الدولية المكلفة بتنفيذ القانون الجنائي الدولي.

وتعرف محكمة العدل الدولية على أنها تمثل الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة وبالتالي فإن نظام محكمة العدل الدولية هو جزء لا يتجزأ من ميثاق الأمم المتحدة، وهذا يعني أن جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة هي بالضرورة أطراف في النظام الأساسي للمحكمة ويقع في لاهاي بهولندا، وبهذا تكون الجهاز الوحيد من بين الأجهزة الرئيسية الستة للأمم المتحدة التي لا يوجد مقرها في مدينة نيويورك يتألف أعضائها من 15 قاضيا تنتخبهم الجمعية العامة* لمدة 9 سنوات.

* الجمعية العامة أنشأت عام 1945 بموجب ميثاق الأمم المتحدة، وتعتبر هيئة رئيسية للتداول ورسم السياسات والتمثيل في الأمم المتحدة، مهمتها الأساسية حل النزاعات بين الدول فقط وليس الأفراد والشركات.

قانون العلاقات الدولية ————— المحور الأول: الدبلوماسية مقارنة مفاهيمية.

السنة الثالثة قانون عام

— من إعداد الأساتذة مقورة مفيدة: